في يده منه شي ولا يبلغ الى فيه منه شي كذلك الدعوى يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع ولا يبلغه منها
شي وقيل شبهه بالرجل العطشان الذي يرى الما بعينه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الما ويدعوه بلسانه فلا
ياتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطا كالعطشان الجالس على شفير البير فلا يبلغ الى قعر البير ليخرج الما
ولا الما يرتفع اليه فلا ينفعه بسط الكف الى الما ودعاوه له ولا هو يبلغه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم
ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الما لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما ولا يبلغ الما فاه ما دام
باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله للكفار ودعايهم الاصنام حين لا تنفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله وما دعا
الكافرين يعني اصنامهم الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن عباس في هذه الاية لان اصواتهم
محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها في معنى هذا السجود قولان
احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الاية
وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات
يعني الملايكة ومن في الارض من الانس يعني المومنين طوعا وكرها يعني من المومنين من يسجد لله طوعا وهم
المومنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقون الداخلون في المومنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على
كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوفا من المومنين
الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان جميع الملايكة من المومنين من الجن
والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة
فهذا وجه الاشكال والجواب عنه انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع
والحصول وجواب اخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من
ملك وكل من في الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود وهو الانقياد والخضوع
وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وبهذا الاعتبار لان قدرته ومشيته
نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له وقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال الغدو والغدوة
والغداة من اول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالفتح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال جمع اصيل
وهو العشية والاصال العشايا جمع عشية وهو ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس كل شخص يسجد لله سوا
ظل المومنين والكافرين وقال مجاهد ظل المومن يسجد لله وهو طايع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال
الزجاج جا في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال
عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود عليه السلام وقيل المراد بسجود
الظلال ميلانها من جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو
والاصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما
فصل وهذه السجدة من عزايم سجدة التلاوة فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراته واستماعه لهذه السجدة
والله اعلم قوله تعالى قل من رب السموات والارض اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يعبدون غير الله من رب
السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله
خالق السموات والارض وما فيهما فاذا اجابوك لذلك فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل
لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد

الله

الله وقيل انما جا السوال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون بان الله خالق كل شي فلما لم ينكروا ذلك واجاب
النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله قل اي قل
يا محمد للمشركين افاتخذتم من دونه يعني من دون الله اوليا يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب
السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام لا يملكون يعني وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمومن الذي يعبد الله تعالى فقال تعالى
قل هل يستوي الاعمى والبصير قال ابن عباس يعني المشرك والمومن ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك
والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لانه
لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا ام جعلوا لله شركا هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركا
خلقوا كخلقه يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا فتشابه الخلق عليهم من هذا
الوجه والمعنى هل راوا غير الله خلق شيا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله ام
جعلوا لله شركا خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركا بخلق الله عندهم وهذا استفهام انكار اي ليس الامر
كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المتفرد بخلق ساير الاشيا والشركا
مخلوقون له ايضا لا يخلقون شيا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركا واذا كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله
قل يا محمد قل الله خالق كل شي اي لهولا المشركين الله خالق كل شي مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شي
من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شي وهو غير مخلوق وهو الواحد يعني والله تعالى هو الواحد
المتفرد بخلق الاشيا كلها القهار لعباده حتى يدخلهم تحت قضايه وقدره وارادته قوله تعالى انزل من السما
لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمومن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال
تعالى انزل من السما ما يعني المطر فسالت اودية بقدرها اودية جمع واد وهو المنفرج بين الجبلين يسيل فيه
الما وقوله فسالت اودية فيه اتساع وحذف تقديره سال في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الما في
النهر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملئها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير
بقدره وقيل بمقدار سيلها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل
في ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جا هذا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السما ما
يعني قرانا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القران
الجامع للهدى والنور والعرفان ببركة نزول القران ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة قبلت
الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب
طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به
فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه
في معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلا فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وقوله ومنها اجادب فبالجيم
والدال المهملة كذا وقع في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلا جمع جدب على غير قياس وقيل اسم لجدب
والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الما ولم يسرع فيها النضوب وفي رواية الهروي اخاذات
بالخا والذال المعجمتين جمع اخاذة وهو الغدير الذي يمسك الما وقوله وزرعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي
ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض

Copyright King Saud University